الأستاذ عاشق الهى البرنى

شيخ الهند الفاضل الجليل

السيّد محمود الحسن الديوبندىؒ

هو البطل الشهير والعالم الكبير، مقدام العلماء الراسخين، الشيخ محمود الحسن بن الشيخ العلام ذوالفقار على الحنفى الديوبندى ، أعلم العلماء فى عصره، وأحسن المتأخرين ملكة فى الفقه والأصول، وأعرفهم بنصوصه وقواعده . ولد سنة ١٢٦٨هـ فى بلدة بريلى ، حين ماكان والده موظفا فيها فى تفتيش المدارس الابتدائية من قبل الحكومة، ونشأ فى ديوبند وطن آبائه وقرأ العلم فى دار العلوم الديوبندية وهو أول طالب فيها ، وكان من أساتذته ملّا محمود الديوبندى ومولانا السيد أحمد الدهلوى، ومولانا محمد يعقوب النانوتوى ، وأخذ الحديث عن حجة الإسلام مولانا محمد قاسم النانوتوى عن الشاه عبدالغنى الدهلوى رحمهم الله تعالى . وصحب مولانا محمد قاسم النانوتوى مدة طويلة ، وانتفع به كثيرا حتى صار بارعا فى العلوم ، وولى التدريس فى دارالعلوم ديوبند سنة ثمان وثمانين ومأتين وألف ، وأخذ الطريقة عن الإمام الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى قدس سره ، وكان يتردد إليه مرات وكرات، وحصلت له الإجازة منه ، وكان ملازما للعبادة والورع وقيام الليل ، سريع الإدراك ، شديد الرغبة فى المذاكرة بالعلم ، ذا عناية تامة بالفقه وأصوله ، وكان يحفظ متون الأحاديث مجدّا فى دراستها رواية ودراية ، وسافر إلى الحجاز للحج والزيارة غير مرة ، وكان أول تلك الأسفار فى سنة أربع وتسعين ومأتين وألف فى جماعة صالحة من الشيوخ منهم قاسم العلوم والخيرات النانوتوى والشيخ رشيد أحمد الكنكوهى

والشيخ محمد يعقوب النانوتوى والشيخ رفيع الدين الديوبندى والشيخ محمد مظهر النانوتوى والمولوى أحمد حسن الكانبورى وآخرون ، فحج وزار ، وأدرك بمكة المباركة الشيخ الكبير إمداد الله العمرى التهانوى والعلامة رحمة الله بن خليل الرحمن الكرانوى ، وبالمدينة المنورة الشيخ عبدالغنى بن أبى سعيد العمرى الدهلوى ، واستفاض منهم فيوضا كثيرة ، وأجازه الشيخ عبدالغنى للتدريس والتحديث .

وعندما توفى مولانا محمد يعقوب النانوتوى ناب منابه مولانا السيد أحمد الدهلوى ، ولما سافر السيد أحمد الدهلوى إلى بهوبال وُلّى الشيخ محمود حسن رئاسة التدريس فى دار العلوم الديوبندية وكان ذاك فى سنة خمس وثلاث مائة وألف ، وشمر عن ساق الجد والاجتهاد فى تعليم علوم السنة وتخريج الطلبة ، وتربية الطالبين إلى سنة ١٣٣٣هـ، ونفع الله به فى هذه المدة نفعا عظيما.

وكان قد وضع خطة لتحرير الهند من حكم الإنجليز ، كان يريد أن يستعين فيها بالحكومة الأفغانية والخلافة العثمانية ، وهيأ لها جماعة من تلاميذه وممن يثق بهم من أصحابه ، وأرسل بعض تلاميذه إلى أفغانستان ، وكان الاتصال بينه وبين تلاميذه وأصحابه فى الحدود الشمالية وفى أفغانسان ، ولما تم لهم بعض ذلك ومهدوا الأرض للثورة واشتدت عليه الرقابة فى الهند سافر إلى الحجاز سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وألف ، وأقام بمكة وقابل غالب باشا الوالى التركى سرا، ثم سافر إلى المدينة المنورة وقابل أنور باشا وزير الحربية وجمال باشا القائد العام للجيش العثمانى حين زار المدينة المنورة ، وفاوضهما فى طرق إعانة المسلمين فى الهند ونفى الإنجليز منها ، وأخذ منهما رسالة سرّية إلى الشعب الهندى ، والوعدَ بتأييد القضية الهندية وحمل أهل الهند على مساعدة الشيخ محمود حسن والاعتماد عليه ، وأراد الشيخ محمود حسن أن يصل إلى الحدود الشمالية الحرة بين أفغانستان والهند عن طريق إيران ، وسافر من مكة إلى الطائف ثم رجع إلى مكة وأقام بها مدة ودرس صحيح البخارى وحج ، وكان

ذلك سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة وألف ، واكتشفت الحكومة الإنجليزية المؤامرة وعرفت قضية الرسائل الحريرية ، فصرفت عنايتها إلى القبض على زعيم هذه الحركة وقطب رحاها ، وكان الشريف حسين أمير مكة قد خرج عن الدولة المتبوعة العثمانية وثار عليها بتحريض الدولة الإنجليزية ، فألقى القبض عليه فى صفر سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة وألف ، ومعه تلميذه البار أجَلّ تلاميذه وأخص خدامه الشيخ المولوى حسين أحمد – الذى ناب منابه بعده فى جهوده ضد الإنجليز – والحكيم نصرت حسين الكوروى والشيخ عزيز كل السرحدى والمولوى وحيد أحمد ، وسفر هؤلاء فى الثامن عشر من ربيعٌ الأول سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة وألف إلى (مصر) ومنها إلى (مالطه) حيث وصلوا إليها سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة وألف وحبسوا هناك مأسورين .

ولبث الشيخ محمود حسن مع أصحابه فى مالطه نحو ثلاث سنوات وشهرين صابرا محتسبا ، عاكفا على الذكر والعبادة ، منصرفا إلى التربية والإفادة ، راضيا بقضاء الله وقدره .

ومات من أصحابه الحكيم نصرت حسين فى أسرة مالطه، وأطلق سراحهم لليلة خلت من جمادى الأخرى سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة وألف ، ووصل إلى الهند فى عشرين من رمضان سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة وألف مكرّما مبجلا ، قد مالت إليه النفوس وتطلعت إليه العيون ، وقد غلب لقب «شيخ الهند» على اسمه ، فاشتهر به فى العامة والخاصة ، واستُقبل استقبالا عظيما فى كل بقعة نزل فيها أو مرّبها ، وتهافت الناس لاستقباله وزيارته ، واحتفل به أهل وطنه احتفالا كبيرا ، وكان قد أضناه الأسر ، ووهنت قواه لمقاساته للأمراض، ومعاناته للمشقة والمجاهدة، ولكنه لم يستجم من عنائه،ولم يستقر فى وطنه ، بل قام بجولة فى مدن الهند ، وألقى الخطب ودعا أهل الهند إلى مقاطعة الحكومة الإنجليزية ، ورجع إلى دهلى ، واشتد به المرض والضعف ، حتى وافاه الأجل فى الثامن عشر من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة وألف فى دهلى ،

ونقل جسده إلى ديوبند ، وصلى عليه جمع كبير ، ودفن بجوار أستاذه حجة الإسلام مولانا محمد قاسم النانوتوى رحمهما الله .

كان مولانا محمود حسن آية باهرة فى علو الهمة وبُعد النظر ، والأخذ بالعزيمة ، وحبّ الجهاد فى سبيل الله ، قد انتهت إليه الإمامة فى العصر الأخير فى البغض لأعداء الإسلام والشدة عليهم ، مع ورع وزهادة ، وإقبال إلى الله بالقلب والقالب ، والتواضع والإيثار على النفس ، وترك التكلف ، والانتصار للدين والحق ، والقيام بأوامر الله ، وكان دائم الابتهال ، قوى التوكل ثابت الجأش ، سليم الصدر ، جيد التفقه ، جيد المشاركة فى جميع العلوم العقلية والنقلية ، مطّلعا على التاريخ ، كثير المحفوظ فى الشعر والأدب ، صاحب قريحة فى النظم ، واضح الصوت ، موجز الكلام فى إفصاح وبيان ، وتمتاز دروسه بالوجازة والدقة ، والاقتصار على اللب ، كثير الأدب مع المحدثين والأئمة المجتهدين ، لطيفا فى الرد والمناقشة ، كان قصير القامة ، نحيف الجثة ، أسمر اللون كث اللحية فى توسط ، غير متكلف فى اللباس ، عمامته من الكرباس الثخين ، وقور فى المشى والكلام ، تلوح على محيّاه أمارات التواضع والهمّ ، وتشرق على جبينه أنوار العبادة والمجاهدة ، فى وقار وهيبة مع بشاشة وانبساط مع التلاميذ والإخوان .

وكان قليل الاشتغال بالتأليف بالنسبة إلى غزارة علمه وكثرة درسه ، له تعليقات لطيفة على سنن أبى داود ، وجهد المقل فى تنزيه المعز والمذلّ – كتاب له بالأردوية فى مسألة إمكان الكذب وامتناعه – والأدلة الكاملة فى جواب الأسئلة العشرة للشيخ محمد حسين البتالوى ، وإيضاح الأدلة ، وتقرير دروسه لسنن الترمذى مطبوعة فى الهند مع أصل الكتاب ، وله أحسن القِرى فى الجمعة فى القُرى ، والأبواب والتراجم ، وهذه الرسالة تتعلق بتراجم البخارى ذكر فيها خمسة عشر أصلا مجملة ثم شرع الكلام على التراجم

بقية على ص: ٥٦